«ميلووكي بلوز» رواية تقرؤها على أنغام البلوز

الهايتي لوي فيليب دالمبير يخلّد مقتل جورج فلويد

الشهيد يتحوّل إلى رمز كوني

من بين الروايات الأربع التي وصلت إلى القائمة القصيرة لجائزة غونكور هذا العام رواية الكاتب الهايتي لوي فيليب دالمبير "ميلووكي بلوز"، والتي كانت مرشحة بقوة للفوز بالجائزة، شأنها شأن رواية كريستين أنغو "الرحلة إلى الشرق" الفائزة أخيرا بجائزة ميديسيس، لكن الغونكور ذهبت إلى الكاتب السينغالي الشاب محمد مبوغار سار.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

من منّا لا يذكر تلك الدقائق المريعة التي تناقلتها المواقع الاجتماعية ووسائل الإعلام في العالم عن شرطي أبيض يزهق أمام عدسة سمارتفون روح رجل أسود يستجديه بكلمات تغلب عليه حشرجة خنيق "لا أستطيع أن أتنفّس"، وهو جاث بركبته على عنق أسيره المنبطح أرضا مثل دابة منذورة للذبح، وينقّل نظرا متعاليا في كل من حوله، تحت ضوء الفوانيس الدوّارة لسيّارات الشرطة الرابطة حذوه، وكأنه يقوم بمهمة إنسانية يستحق عليها الثناء؟

بطل بعد موته

من تلك الحادثة، حادثة مقتل جورج فلويد في مينيابوليس عام 2020، ومن حادثة مماثلة وقعت في نيويورك عام 2014، وراح ضحيّتها رجل أسود آخر يدعى إريك غارنر بنفس الطريقة الفظيعة، وكان قد نطق هو أيضا بنفس تلك الكلمات يسترحم بها ما تبقى في روح جلاده من إنسانية، دون جدوى، استوحى لوي فيليب دالمبير موضوع روايته الجديدة "ميلووكي بلوز".

واستوحى الكاتب الهايتي عنوان روايته من أغنية "بلوز" شهيرة لعازف البانجو الأميركي تشارلز كليفلاند بول (1892–1931) وكان قد أداها قبل وفاته بسنة، وتتحدث كلماتها عن متشرّد عجوز طيب يدعى بيل جونس يحنّ إلى ميلووكي ويريد العودة إليها، وما زالت حاضرة في المخيال الجمعي، تتردد على ألسنة عدة مجموعات فنية معاصرة.

وقد جعل الكاتب قائمة تشغيل تضم عناوين عدد من أغاني "البلوز"، يدعو قراءه إلى الاستماع إليها أثناء قراءة روايته، حتى يتمثلوا مناخ الحزن الذي يرين على أبطاله السود في حيهم البائس.

وبالرغم من تنويه دالمبير في عتبة المدخل إلى أن عمله تخييلي صرف، فإن الجريمة التي هزت وجدان العالم وأوجدت حركة "حياة السّود مهمّة" حاضرة بجلاء في مناخ الرواية وأحداثها، وإن اختار الكاتب الاشتغال على شخصية الضحية والتعريف بها وبماضيها القصير أكثر مما اشتغل على جريمة الشرطي الأبيض.

أضف إلى ذلك أنه لم يمنع نفسه من اتخاذ اسم البطل من اسم ضحية أخرى من ضحايا العنصرية، ألا وهو إيمّيت تيل (1941–1955) ذلك المراهق الذي قتله ومثّل به عنصريون بيض في دلتا المسيسيبي، ولم يكن قد بلغ الخامسة عشرة من عمره.

تسرد الرواية حكاية إيمّيت، وهو رجل أسود في السادسة والأربعين من عمره، متزوج وله ثلاث بنات، راح ضحية العنصرية والعنف والظلم. تبدأ من حيث انتهت حياته، أمام متجر صغير في حي شعبي بمدينة ميلووكي في ولاية ويسكونسن، عندما اتصل وكيله بالشرطة ظنّا منه أن الورقة المالية التي سدّد بها إيميت مشترياته هي ورقة مزورة؛ وفي لحظة أليمة، يقع الرجل بين يدي شرطي عنصري، فيجهز عليه كما أجهز الشرطي ديريك شوفان على جورج فلويد، بدم بارد، وقتل بطيء حتى أخمد أنفاسه، أمام أنظار العالم، بفضل الوسائل الإلكترونية الحديثة، العابرة للقارات في نقرة.

والأبشع من تلك الجريمة موقف الضابط غوردون، الذي لم يبد ندمه على قتل إنسان بغير ذنب، إذ اعتبر أن "موت الأسود" سيكلفه وظيفته وحياته العائلية.

والكاتب لا يتوف كثيرا عند الجريمة وتفاصيلها بقدر ما يفسح المجال لأقرباء إيميت ومعارفه للحديث عنه. كل من في الحيّ يتحدث بما يعرف عن الفقيد، فصلا إثر فصل، وكأنه يدفع حصّته من الذّاكرة الجمعية.

المعلّمة السابقة، وهي امرأة بيضاء حلت بهذا الحي منذ نصف قرن عند انطلاق الحركة المطالبة بالحقوق المدنية؛ حارسة السجن القديمة التي تحولت إلى راهبة تنشر المواعظ كما كانت من قبل توزع ضربات المقامع على المساجين؛ الفتاة التي عشقها ثم تخلت عنه لسواه؛ مدربه الذي كان يتوقع له مستقبلا باهرا في كرة القدم الأميركية المحترفة، لولا حادث تعرض له وأقعده مدّة طويلة، وحكم عليه بالبحث عما يضمن به قوته وقوت عياله، فصار يتقلب من عمل إلى آخر كسائر المواطنين الأميركان السود في سوق الشغل.

كلهم ذكروا طفولته المرحة في ظل أسرة ورعة، وحلمه بالنجومية الرياضية التي سوف تضمن له حياة مرفهة لاسيما أنه حصل على منحة بفضل تميزه في رياضته المفضلة، ومكانته في الحرم الجامعي، ثم تقلبه في سوق الشغل لضمان عيشه بطرق مشروعة، برغم الظروف القاسية. أي أن البطل حاضر في الرواية برغم صمته الأبدي.

الشهيد رمز كوني

الكاتب إذ جعل أحداث روايته تدور في حي فرنكلين هايتز بمدينة ميلووكي ومبانيه المتداعية وشوارعه المغبرّة، فلأنه يعرف تلك المدينة وأحياءها إذ سبق له أن درّس في أحد معاهدها، وخبر العنصرية التي تسكن أهلها منذ عشرات السنين؛ بيد أنه لم يعمد إلى كتابة سيرة الراحل، قدر ما ركز على أثر موته في المجموعة التي ينتمي إليها، والتي لم يكن لها اهتمام كبير بالشأن السياسي، قبل أن تهبّ هبّة رجل واحد لإدانة الجرائم العنصرية في مسيرة بدأت محلية ثم استشرت في سائر المدن الأميركية والعالمية.

ولئن خصص الكاتب جانبا من الجزء الأول من روايته لوصف الحي الذي نشأ فيه البطل، فإن الجزء الثاني كان فيه استحضار كبير لكل من عانى القمع والظلم والقتل بسبب بشرته السوداء، قبل أن ينتقل إلى إعداد المسيرة التي سوف تخرج لتحية روح الفقيد، والتنديد بالجريمة، ولفت انتباه المسؤولين عن الأمن الداخلي ومنظمات المجتمع المدني، لأجل صحوة جماعية باعتبارهم "إخوة في المسيح" كما قالت الراهبة التي تولت إدارة العمليات.

من خلال بطله، يحيّي لوي فيليب دالمبير ذاكرة ذينك الرجلين الأسودين، إيميت تيل وجورج فلويد، وكل الضحايا الذين تحولوا إلى رموز للميز العنصري في الولايات المتحدة، وحزن مكين يحمله كالثقل كل من جعلتهم أقدارهم يولدون ببشرة سوداء، تخالف بشرة المتزمتين والعنصريين من ذوي الأقنعة البيضاء والصلبان النارية. فالشهيد في نظر الجميع رمز أكثر ممّا هو شخص عاديّ، ولكن الكاتب ينجح في جعلنا نتصور أن من يختفي وراء رمز بتلك السعة الكونية هو في الواقع رجل عاديّ تماما.

> الكاتب لا يتوف كثيرا عند الجريمة وتفاصيلها بقدر ما يفسح المجال لأقرباء إيميت ومعارفه للحديث عنه

والكتاب في النهاية أشبه بمرافعة من أجل الأخوّة والسلام، ودعوة إلى التسامح والمساواة بين كافة البشر أكثر من كونه مجرد رواية، وهو ما أضفى على "ميلووكي بلوز" نزعة إنسانية كونية.

المغرب يسعى لفتح متحف في كل مدينة

الرباط - أكد المهدي قطبي، رئيس المؤسسة الوطنية المغربية للمتاحف التي تدير حاليا 13 متحفا، أن المؤسسة تعتزم، في إطار سياستها الرامية إلى دمقرطة الولوج إلى الفن والثقافة، فتح المزيد من المتاحف لكي تتوفر كل مدينة رئيسية في المغرب على متحف واحد على الأقل، وبالتالي تعزيز تراث وخصوصيات كل منطقة.

وأشار قطبي في هذا الخصوص إلى متحف القارة والذي سيُقام في قلب الرباط، و"سيحتفي بالتراث الثقافي والفني الغني لقارتنا الأفريقية فضلا عن تعزيز مكانة الرباط، مدينة الأنوار وعاصمة الثقافة".

وسجل في هذا الصدد، أن المغرب بوتقة انصهرت فيها مجموعة من الثقافات والمكونات العربية – الإسلامية والأمازيغية والصحراوية الحسانية، فضلا عن الروافد الأفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية، مضيفا أن المملكة تتوفر على تراث أركيولوجي وإثنوغرافي وفني استثنائي يتعين الحفاظ عليه وعرضه في متاحفها "حتى يتمكن المغاربة من تملّك تاريخهم، ويُتاح للأجانب اكتشاف ثراء ثقافتنا".

متحف محمد السادس ذاكرة حية ومستقبل مفتوح

وأبرز رئيس المؤسسة الوطنية للمتاحف إسهام متحف محمد السادس للفن الحديث والمعاصر الذي يعد "قاطرة للمؤسسة، لأنه عبّد الطريق للمغاربة للولوج إلى المتاحف ومعانقة، هنا في المغرب، أسماء مرموقة في عالم الفن".

وأضاف قطبي أن المتحف مكّن أيضا من وضع الرباط على خارطة المواعيد الدولية للفن الحديث والمعاصر باعتباره أول متحف في أفريقيا وفي العالم العربي قام بعرض أعمال ياكوميتي وسيزار وبيكاسو وغويا ورسامين انطباعيين من قبيل مونيه، سيزان، ورينوار، ودولاكروا.

وحسب قطبي، فإن الأمر يتعلق بعمل تحقق بفضل شراكات مع كبريات المؤسسات المتحفية والثقافية في العالم، "حيث راهنّا على الدبلوماسية الثقافية لجعل هذا المتحف مكانا بارزا للتبادل والحوار بين الثقافات ومشاطرة القيم الإيجابية"، مسجلا أنه "بالإضافة إلى المعارض ذات البعد الدولي، فإن الطموح الرئيسي لمتحف محمد السادس للفن الحديث والمعاصر هو تشجيع الإبداع والعمل من أجل الدمقرطة والإشباع الثقافي لكل المغاربة من خلال المساهمة في تطوير ظروف الإنتاج الفني".

كما توقف رئيس المؤسسة الوطنية للمتاحف عند أول سنتين للفن المعاصر في الرباط، والذي استقبل في سنة 2019 حوالي 140 ألف زائر مغربي وأجنبي، مذكرا أن هذه النسخة سلطت الضوء على حوالي 63 فنانا ومجموعة فنانين من 27 دولة مختلفة، وثمنت عالميا جودة البنية التحتية المتحفية والثقافية المغربية.

من جهة أخرى، تطرق قطبي إلى تداعيات الوباء على النشاط المتحفي والثقافي، بما في ذلك إغلاق العديد من المتاحف ووقف الأنشطة الثقافية لمدة عام تقريبا.

المهدي قطبي

ثقافة أي بلد هي معركة يومية ولا غنى عن المتاحف

وشدد على أنه رغم ذلك، فإن النشاط الثقافي آخذ في الانتعاش، حيث أعيد افتتاح المتاحف تدريجيا من خلال تنظيم معارض كبرى في عدة مدن حول العالم، وهو ما يثبت أن "المتاحف لا غنى عنها في الحياة اليومية للملايين من البشر"، مشيرا إلى أن المغرب من البلدان القلائل في العالم التي أبقت متاحفها مفتوحة إبّان الجائحة في احترام تام للتدابير الصحية.

ويرى قطبي أن ثقافة أي بلد هي معركة يومية لأنها ركيزة أساسية في تنمية المجتمع، داعيا في هذا الصدد إلى "دعم الإبداع والفاعلين في القطاعات الثقافية، مع صون تراثنا الفني الوطني، انطلاقا من الوعي بإمكانات المغرب وما يمكن أن يساهم به في المشهد الثقافي العالمي".

وأضاف "في الوقت الراهن، هناك دينامية متفائلة وقوية يجب استغلالها لتمهيد الطريق لأفكار جديدة ووضع نموذج ثقافي متطور لبلدنا يستجيب لتطلعات المغاربة ولأهداف التنمية".

انطلاق مهرجان المربد الشعري في البصرة

بغداد - انطلقت في محافظة البصرة العراقية مساء الخميس فعاليات الدورة الـ34 لمهرجان "المربد" الشعري بمشاركة أكثر من 300 شاعر وشخصية ثقافية وأدبية وأكاديمية عراقية وعربية وأجنبية.

ويستمر المهرجان في دورته الجديدة التي تأتي تحت اسم الشاعر إبراهيم الخياط ويحمل شعار "المربد.. واحة الشعر"، حتى السابع من شهر نوفمبر الجاري.

وقدم حفل افتتاح المهرجان الشاعر عمر السراي، وشهد الحفل عرض نشيد المربد، الذي كان من كلمات الشاعر كريم العراقي، أما الموسيقى والألحان فهي للفنان عماد مجيد العلي، تلته كلمات ترحيبية لعدد من المسؤولين. إضافة إلى عرض لأوركسترا الطفل في البصرة، وكذلك لفرقة السياب للخشابة والفلكلور البصري بقيادة الفنان كاظم كزار.

وشارك في حفل افتتاح المهرجان، كوكبة من الشعراء، وهم، محمد حسين آل ياسين من العراق، تنزيل بولجو من أذربيجان، كريم معتوق من الإمارات، موفق محمد من العراق، محبوبة إبراهيمي من إيران، ياسين طه حافظ من العراق، متوكل محمد أحمد من السودان، توفيق أحمد من سوريا، يسرى البيطار من لبنان، جواد الحطاب من العراق.

وقالت مصادر بوزارة الثقافة والسياحة والآثار العراقية إن وفودا من دول عربية وأجنبية أبرزها دولة الإمارات العربية المتحدة والسودان وسوريا ولبنان وأذربيجان وإيران تشارك في أيام مهرجان "المربد" الشعري بدورته الجديدة، فضلا عن أبرز الشعراء العراقيين.

> المهرجان يشهد عقد جلسات نقدية وثقافية وأدبية وإقامة معارض فنية وأخرى للكتاب وفعاليات فلكلورية شعبية

وأوضحت المصادر أن أيام المهرجان ستشهد عقد جلسات نقدية وحوارية ثقافية وأدبية وإقامة معارض فنية وأخرى للكتاب وفعاليات فلكلورية شعبية.

يذكر أن مهرجان المربد الشعري بدورته الـ33، وهي الدورة التي سمّيت باسم الشاعر البصري حسين عبداللطيف، قد اختتمت في عام 2019، وتم تأجيله كما العديد من الفعاليات الثقافية بسبب انتشار فايروس كورونا المستجد.